العولمة الثقافية وإبعادها السلبية على الوطن العربي

أ.م.د. عمر العبد الله
أ.م.د. أحمد ناصوري
طالب الدكتوراه / أياد رشيد محمد الكريم
جامعة دمشق/ كلية العلوم السياسية/ قسم العلاقات الدولية / سوريا

ABSTRACT

Cultural Globalization means the American dominant of its cultural and values , and impact its above people as an International sample

Globalization aims are many , one of them implicated the people from its main Cultural factors. And its Impact factors , and crush its Natural situation Consequently , The society abolished and abstract its cultural civilization, historical homogenous .

The Arab Cultural witness with media and west technology attempts to severing their Cultural upon Arab states especially American Cultural .Never theses , the history of Arab and the west are not compatible in its cultural , and historical Basis.

الملخص

العولمة الثقافية تعني هيمنة الثقافة والقيم الأمريكية التي تعبر عن وضع القطبية الأحادية الأمريكية السائدة في العلاقات الدولية ، وفرضها على الشعوب كأنموذج عالمي ، وتهدف إلى تجريد الشعوب من ثقافتها ، وعناصرها الأصلية وخصائصها المتميزة وتشويه طابعها العام وإحداث الخروق فيها ، وبالتالي تهميش المجتمع وسلخه من نسيجه الثقافي والحضاري التاريخي .

إن الثقافة العربية تشهد عبر وسائل الإعلام والتقنية الغربية المتطورة محاولات لهيمنة الثقافة الغربية ، وعلى وجه الخصوص الأمريكية ، وفرضها على دول الوطن العربي ، أي بمعنى اجتثاث الثقافة العربية وتغييبها وإحلال الثقافة الأمريكية محلها بغض النظر عن أساس ومرجعيات الأخيرة التي ليس لها علاقة

بالهوية القومية للأمة العربية ولتاريخ الصراع العربي الإسلامي مع الغرب .

المقدمة

شهد العالم في عقد التسعينات من القرن الماضي مجموعة من المتغيرات الدولية ، ومن أبرزها انهيار الاتحاد السوفيتي وفشل تجربته الاشتراكية وتفكك دول أوربا الشرقية وتحولها من نهج الاشتراكية إلى رأسمالية السوق وأصبح واضحاً لمن تكون الغلبة ، فقد وجدت الليبرالية نفسها وحيدة فاغتنمت الفرصة،إذ انفردت الولايات المتحدة الأميركية قائدة المنظومة الرأسمالية في العالم ، فأصبحت الليبرالية القوة الوحيدة والفكر الوحيد من غير منافس ولم تعد هناك تهديدات عسكرية بعد إزالة الحواجز الرادعة فانطلقت غرائز الإدارة الأميركية التوسعية العدوانية ، وجاءت دعواتها المتتالية عالمياً للترويج لمفاهيم وأفكار ووضع آليات للعولمة الثقافية لتنفرد على امتداد العالم دون منافس استراتيجي ومن هنا أضحت العولمة ببعدها الثقافي تنطوي على أداة قسرية لفرض الثقافة الغربية (الأمريكية) على العالم ، ولم يكن عالم الجنوب ومنه الوطن العربي بمنأى عن ذلك .

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على فهم العولمة الثقافية وآثارها السلبية على الوطن العربي، وهو موضوع حسّاس ومهم ، إذ يبين الأهداف والخطط الغربية الأمريكية بتكريس الثقافة الدخيلة غير الأصيلة على ثقافة الوطن الأم في الوطن العربي .

هدف البحث

يهدف البحث إلى التعرف بالعوامة الثقافية وتناول أهدافها المتمثلة بالغزو والاختراق الثقافي وبيان آثارها على الوطن العربي من خلال بيان الآثار الآنية على الثقافة العربية ، ثم تناول المواجهة عربياً .

إشكالية البحث

إن الولايات المتحدة الأمريكية بعد ان تفردت بالنظام الدولي سعت وبكافة السبل إلى تكريس تفردها وهيمنتها بطرق مختلفة سياسية واقتصادية وأمنية وثقافية ، فقد اخترنا في موضوع البحث ، الجانب الثقافي كونه مكمل للجوانب الأخرى وله تأثير كبير ومباشر على ثقافتنا العربية.

فرضية البحث

يفترض البحث ان العولمة الثقافية متغير من متغيرات العولمة الأمريكية على الشعوب في العالم ، من اجل استمرارية الهيمنة ودعم مرتكزاتها في العالم .

مضامين البحث

قسم البحث إلى ثلاثة مباحث وعلى النحو الآتي :-

المبحث الأول : العولمة الثقافية : المفهوم والمضامين .

المبحث الثاني : وسائل العولمة الثقافية .

المبحث الثالث : آثار العولمة الثقافية في الوطن العربي وسبل مواجهتها .

المبحث الأول

العولمة الثقافية : المفهوم والمضامين

أولاً : مفهوم العولمة

لدراسة العولمة الثقافية لابد لنا أن نفهم معنى العولمة بشكل عام ومتى برزت هذه الظاهرة ، وأهم التعاريف المختلفة بشأنها .

إن مفهوم العولمة أحد المفاهيم الشائعة في التحليل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي منذ بداية عقد التسعينيات وحتى الوقت الراهن ، فانه يثير الكثير من الجدل والنقاش ابتداءاً من التعريف بالمفهوم ومروراً بتحديد مظاهرها وأبعادها ويرجع الباحثون والمفكرون أن أول من أشار إلى مصطلح العولمة هو عالم السيسولوجيا الكندي (مارشال ماك ماهان) الذي كتب كتاباً عند نهاية عقد التسعينيات أسماه (القرية الكونية) تنبأ فيه بثورة المعلومات ، وأعطى فيه إشارة متنوعة لما يمكن أن تؤديه من وظائف للإنسان الذي سينتصر على بعض قوى الطبيعة ويسخرها لبناء قريته الكونية ، ومصطلح العولمة أو ما ظهر تحت كلمة (**Globaliazation**) في الولايات المتحدة الأمريكية ويقابلها في الفرنسية كلمة (**Mondliazation**) وقد ترجمت إلى العربية إلى مصطلحات الكونية والكوننه والكوكبة والكوكبية والعولمة فلم يكن للعولمة وجود قبل منتصف عقد الثمانينيات ولم يكن للمفهوم أي حضور خاص بل أن قاموس أكسفورد للكلمات الانكليزية الجديدة أشار لمفهوم العولمة للمرة الأولى عام ١٩٩١م واصفاً إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينيات[١] .

والعولمة بشكل عام هي بمعنى جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من حيز المحدود إلى آفاق اللا محدود ، واللا محدود هنا يعني العالم كله فيكون إطار الحركة التعامل والتبادل والتفاعل على اختلاف الصور السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها ، وهناك تعريف آخر للمفكر محمد

عابد الجابري فيقول : " إن العولمة تعني جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المستوى المحدود المراقب إلى اللا محدود ، والمحدود هنا هو أساساً الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وديموغرافية تحفظ بكل ما يتصل بخصوصية الدولة وتفردها فضلاً عن حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي . أما اللا محدود فالمقصود به العالم أي الكره الأرضية ، فالعولمة إذاً تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي والمالي والسياسي والثقافي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جمعاء"[٢] .

وتعددت الأفكار التي حاولت تحديد مفهوم العولمة ، فبعضها ركز على الجانب الاقتصادي والمالي والبعض الآخر ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير ليشمل الجوانب السياسية والحضارية والثقافية والإعلامية والعسكرية والجوانب الفكرية والأيديولوجية فمنهم من يعرفها بأنها القوى التي لا يمكن السيطرة عليها كالأسواق الدولية والشركات متعددة الجنسية التي ليس لها ولاء لأية دولة قومية ، وبعضهم يقول بأنها حرية حركة السلع والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية[٣] .

ويعرّف روبرت رايخ العولمة بأنها : " اندماج أسواق العالم في حقول التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال رؤوس الأموال والقوى والثقافات والتقائه ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق ، وبالتالي خضوع العالم لقوى السوق العالمية ، ممّا يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة ، وإن العنصر الأساس في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية القوميات"[٤] .

في حين يعرفها علي حميدات وجورج طرابيشي بأنها : الظاهرة التاريخية لنهاية القرن العشرين أو لبداية القرن الحادي والعشرين مثلما كانت القومية في الاقتصاد والسياسة وفي الثقافة هي الظاهرة لنهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، وهذا يعني أن العولمة تتجاوز حدود الاقتصاد والمال إلى الثقافة والفكر وكافة النشاطات الأخرى كالسياسة والعسكر وكل عناصر قوة الدولة والمجتمع ، وهي تعمل باتجاهين هما :-

١. إضعاف العوامل المادية والمعنوية للشعوب على المستوى الوطني والقومي.

٢. تقوية الاتجاه للارتباط بثقافة العولمة والتي مصدرها هو الولايات المتحدة الأمريكية ، التي تعد المركز الأساسي لثقافة العولمة[٥] .

ثانياً : مفهوم الثقافة

الثقافة كغيرها من المفاهيم في العلوم الاجتماعية تقدم لنا أكثر من معنى ، إذ لا يوجد تحديد واضح لمفهومها وهذا يرجع في الأصل لما تمثله الثقافة من اتساع وشمول يمس مختلف جوانب الحياة . لذا وجدنا أن هناك ثقافة سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها . فنجد الدراسات تناولت مفهوم الثقافة وحملت لنا العديد من التعريفات التي أخذت كل منها جانباً من جوانبها .

وأن مصطلح الثقافة في العربية يشير إلى الحدة وسرعة الفهم العقلي ، أما في اللاتينية فهو يشير إلى النمو والزيادة ، وقد مثلوه بصورة أكثر وضوحاً أي كأنه نمو الزرع عند توفر الظروف الملائمة له .

وكان أول من استعمل مصطلح الثقافة في الغرب هو (أدورد تايلور) الذي نشر عام ١٨٧١م أهم كتاب عنها في وقته أصبح فيما بعد من المراجع الأساسية ، وكان تحت عنوان " الثقافة البدائية " ويعرف تايلور الثقافة بأنها : " هذا الكل المعقد الذي يتضمن المعرفة والاعتقاد والفن والحقوق والأخلاق والعادات وكل قدرات وأعراف أخرى اكتسبها الإنسان كفرد في المجتمع "[٦] .

ونجد البعض يعرفها على أنها الاستنارة العقلية وسعة الاطلاع ويطلق على منتجها ومستهلكها المباشر اسم مثقف (Intellectual) والثقافة هي الصورة المرهفة للوعي الاجتماعي وتستقل عن المهنة أو الحرفة التي يمتهنها الفرد .

وعند انعقاد مؤتمر السياسات الثقافية في أوربا بهلسنكي عام ١٩٧٢ ، قد توصلوا إلى إيجاد تعريف للثقافة على أنها تعني كل المظاهر الروحية والمادية في المجتمع من حيث أنها تصدر عن القدرات الإبداعية للإنسان أو تقوم على هذه القدرات والتي يمكن تلخيصها بأنها أسلوب الحياة في المجتمع بكل ما يتضمنه هذا التعبير من سلوك ومعرفة وقيم ، وبمعنى آخر أنها كل ما يدخل من قيم الحضارة في عقل الإنسان ووجدانه وسلوكه وينعكس على حياته الاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية، وما يتصل من تطبيقات في الحياة العامة والخاصة[٧] .

وأيضاً هناك من يعرف الثقافة بأنها تتمثل في مجموعة الظواهر المميزة والرموز التي يختص بها المجتمع وهي تمثل أنماط

العيش وطرق الإنتاج ومختلف القيم والعقائد والآراء . فالثقافة تجاوز أبعاد الفنون الجميلة والآداب المتطرفة لتكون محور حيوية هذا المجتمع وأداة دوامه وتجدده ، وهي التصور للواقع الذي يعيشه الإنسان بعد أن يضفي عليه نظرته الخاصة والعامة ويتخيله حسب أهوائه ومشيئته[٨].

وبناءاً على التعاريف السابقة يمكن لنا أن نتوصل إلى أن الثقافة هي الصور الحية للأمة التي تحدد ملامح شخصيتها وتعمل على ضبط اتجاهات سيرها بل وترسم أهدافها ، وتصدر معالم الثقافة عن ما يسود الأمة من عقائد ومبادئ ونظم بجانب سيرتها التاريخية ورصيدها المعرفي .

ثالثا : مفهوم العولمة الثقافية

يرى بعض الباحثين أنه توجد ثقافة تحاول السيطرة على باقي الثقافات ، أي تجعل ثقافات غربية عديدة في موقف تكون فيه تابعة لثقافة واحدة ممتدة على سائر دول العالم ، وهي الثقافة الأمريكية . والتي يمكن تسميتها بالأمركة .

وإن محض دراستنا هي العولمة الثقافية التي اتفق أغلب الباحثين بأنها عملية تعميم للثقافة الأمريكية على العالم ، ويحاول بعض الكتاب الأمريكيين الإيحاء بأن هناك عوامل سلبية في الثقافات الأخرى لبلدان العالم ، ممّا أدى إلى سيطرة الثقافة الأمريكية على هذه الثقافات ويذكر عبد الإله بلقزيز العولمة الثقافية على أنها : "اغتصاب ثقافي وعدواني رمزي على سائر الثقافات ، أنها رديف الاختراق الذي يجري بالعنف المسلح بالتقانة ، ويهدد سيادة الثقافة في سائر المجتمعات التي تبلغها العولمة "[٩]

إذن من خلال هذه التعريف نلاحظ أن مضمون العولمة الثقافية قد طال هدفه ثقافات الشعوب وقيمها وعاداتها وتقاليدها التي كانت إلى عهد قريب بمثابة عوالم تكتنفها الغرابة والقداسة والمثل والخصوصيات والرموز والمطلقات ، فالعولمة الثقافية هدفها إزالة الحدود الثقافية في العالم لتغزوه ثقافة واحدة .

وقد يرى (جيمس ميتلمان) : " إن العولمة الثقافية هي عملية مقابلة ثقافية بين الحضارات يعتريها الكثير من التناقض وعدم الاستقرار"[١٠] .

في حين يعلق المفكر محمد عابد الجابري عن العولمة الثقافية ويذكر بأنها نشر وهيمنة ثقافة الولايات المتحدة على وجه التحديد ، فهذه الثقافة تمتلك المقومات لفرض تلك الهيمنة [١١] .

فالولايات المتحدة تحاول عبر سياسة العولمة الثقافية تقريب المسافات وتوحيد أنماط الحياة المادية والفكرية من أجل دمج الدوائر الثقافية المختلفة ، وإرساء فضاء ثقافي فكري مشترك أو قائم فوق الثقافات القومية ، أي تنشئ نمط من السيطرة الثقافية ، بحيث تكون الثقافة الأمريكية هي التي تطغي وتسيطر على جميع الثقافات الأخرى . وبعبارة أدق تكون ثقافات العالم خاضعة ومنساقة خلف الثقافة الأمريكية . ومن هذا المنطلق نجد أن العولمة الثقافية تعبر عن (أمركة العالم) وتعميم الأنموذج الثقافي الأمريكي حتى على بقية دول الغرب نفسها ، إذ تنشر القيم والمبادئ الأمريكية ، وتفرضها من خلال ثورة المعلومات وتقنيات الإعلام والمعرفة على الشعوب كافة ، وتعدها نوعاً جديداً من الأيديولوجية الصالحة التي يجب تداولها في العالم أجمع .

المبحث الثاني

وسائل العولمة الثقافية

أولاً : الاختراق الثقافي

يعد الاختراق الثقافي من أبرز الأساليب المتبعة من قبل قوى العولمة الثقافية في صراعها مع الثقافات الوطنية وزعزعة القناعات بها والترويج لقيم ومبادئ أخرى تركز على إيجاد حالة من القبول والتفاعل مع نمط الثقافة الغربية والأمريكية بهدف تحجيم الخصوصية الثقافية والحضارية للشعوب الأخرى[١٢] . ويمكن أن نحدد مفهوم الاختراق الثقافي على أنه وسيلة من وسائل الاستعمار الفكري المنظم للشعوب من أجل تكريس نظام سياسي واقتصادي وثقافي دولي واحد بقصد خلق نمط من الهيمنة الفكرية .

وتكون عملية الاختراق الثقافي من خلال تدفق المعلومات عبر تقنيات الإعلام والمعرفة والثقافة الحديثة بقصد بث وإشاعة مفاهيم جديدة في أوساط المثقفين وبالتالي التوغل إلى منظومة القيم والمبادئ والمفاهيم الأساسية لثقافة المجتمع والدولة، والإخلال بها واستبدال مفاهيمها ومبادئها لصالح قوى عولمة الثقافة التي تتركز حول تعميم الثقافة الغربية الوافدة .

وتقوم الدول الغربية ولاسيما الولايات المتحدة الأمريكية بالاختراق الثقافي لترسيخ نموذجها الحضاري والثقافي وتعميمه على العالم من خلال تكرار المعلومة المسموعة والمرئية والمطبوعة حتى تدخل في أذهان الجمهور المتلقي بغية التأثير بهم[١٣] . وبعبارة أدق وفرت أجهزة الإعلام الحديثة للولايات المتحدة الطريق إلى ما يمكن تسميته

بـ (الاستعمار عن بعد) ببث أفكار غير مباشرة في برامج ومسلسلات وأفلام من شأنها أن تجعل عقول المشاهدين تفكر في الاتجاه الذي يراد لها من الآخر .

وقد أصبح واضحاً أن الاختراق الثقافي في ظل العولمة يعمل على تهديد منظومة القيم الأصلية ويشكل نوعاً من الازدواجية الثقافية ، ممّا يؤدي إلى تهميش الثقافات الوطنية ، فبعد أن كان الاختراق الثقافي يسعى للسيطرة على الوعي ، أضحى اليوم يستهدف الإدراك ويوجهه بشكل مستنفر للانفعال وحاجب للتفكير[١٤].

وإن غاية الاختراق الثقافي هو تكريس الاستتباع الحضاري من خلال عملية تسطيح الوعي ، واختراق الهوية الثقافية للشعوب واستبدالها بثقافة جديدة تماماً ، إنها ثقافة إعلامية سمعية وبصرية تصنع الذوق الاستهلاكي اقتصادياً والرأي العام سياسياً وتشيد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع ثقافياً . وقد عمل الاختراق الثقافي الذي تتمحور حوله ثقافة العولمة إلى إيجاد حالة من التقبل لنمط الثقافة الأمريكية ونشر مبادئها ومفاهيمها في إطار المجتمع العربي وفي أوساط المثقفين العرب على وجه الخصوص من أجل النيل من الخصوصية الثقافية العربية وتدمير الهوية القومية العربية . ففي واقع الحال إن العولمة في صراعها مع الثقافات القومية للأمم الأخرى تستخدم نمطاً من أيديولوجيا الاختراق تقوم على نشر وتكريس جملة أوهام تنتظم على أساسها مكونات الثقافة الإعلامية الجماهيرية الأمريكية، ومحصلتها النهائية تكريس الأيديولوجية الفردية المستسلمة ، والتي توظف لضرب الهوية الثقافية بمستوياتها الثلاثة الفردية والجماعية والوطنية القومية[١٥] .

ونخلص إلى أن الولايات المتحدة تعمل على تهميش الثقافات الوطنية ومسخها من خلال الترويج لثقافتها ، وذلك بنشر الأفكار المادية التي تقوم عليها العولمة باعتبارها الأساس في صياغة القوانين الاجتماعية وتنظيم العلاقات العائلية وبما يتنافى مع واقع الحال الذي يؤكد على أن الاعتبارات الروحية هي أساس التماسك الاجتماعي .

ثانياً : الغزو الثقافي

تتعرض الشعوب والدول للعديد من الغزوات التي تستهدف النيل منها ، وكان الغازي يوظف مختلف السبل والأساليب من أجل تحقيق أهدافه في إخضاع الآخرين .لذا

نجد أن الأساليب التي وظفت من قبل الطرف المعادي كانت تتضمن الأساليب العسكرية وغير العسكرية ، وكان من الأساليب الغير عسكرية الغزو الثقافي بالرغم من ارتباطه بمرحلة السيطرة الأوربية على العالم ، وأنه يعد وليد للغزو العسكري ، إلا أنه يختلف عنه تماماً من حيث وسائله ناعمة وخادعه ومحفوفة بالشهوات بينما الغزو العسكري يستخدم القوة المسلحة لتنفيذ خططه الاستعمارية[١٦] .

ويمكن لنا أن نعرف الغزو الثقافي على أنه الحملات الفكرية الثقافية الغربية التي استعملت أساليب وأدوات مختلفة لتدمير مصادر قوة الدول وإرادتها والتحكم بقدراتها . وقد استخدم الغزو الثقافي عمليات التبشير والاستشراق الواسعة التي قامت بنشر الأفكار الهدّامة للعقيدة والقيم واستبدالها بقيم ومكونات غربية .

وإن ما نشهده اليوم لحال الدول التي تعرضت للغزو الثقافي في السابق بأنها تعيش أزمة ثقافية نتيجة ما قام به المستعمر الغربي من محو للذاكرة التاريخية واللغة الوطنية وتشويه للتكوين النفسي الذي أدى كل ذلك إلى اللامبالاة وفقدان الانتماء القومي للفرد والمجتمع .

إن خطط الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في محاولاتهم للسيطرة على الوطن العربي والعالم الإسلامي ثقافياً وإعلامياً لنشر المبادئ الأوربية والثقافة الغربية البعيدة في جذورها ومقوماتها عن شخصية الأمة وتكوينها الثقافي والعقائدي والحضاري عن طريق المؤسسات الثقافية ، ودور النشر والصحافة والإعلام والبث الفضائي الموجه وبأشراف مباشر من قبل قيادات الأنظمة السياسية الغربية وبالاشتراك مع الصهيونية العالمية[١٧] . وبما أن الغرب يمتلك وسائل التقدم المادي والتقني ما يمكنه من تنفيذ خططه في السيطرة الفكرية والثقافية الشاملة على العالم ومنه الوطن العربي .

وإن للغزو الثقافي أهدافاً كثيرة ومتنوعة يمكن إيجازها في عدة نقاط وهي كالآتي[١٨] :-

١. يعمد الغزو الثقافي في محاولة لمسخ القيم الخلقية ، والوازع الديني لدى أبناء الوطن العربي والمسلمين بالذات ، بغية تنفيذ المخططات التي تهدف إلى فرض الهيمنة على الدول العربية وتسخير الطاقات البشرية والاقتصادية في هذه الدول لخدمة المصالح الغربية .

٢. هناك المؤسسات اليهودية والصهيونية العالمية السرية والعلنية تسعى جاهدة وبتخطيط مدروس إلى تقويض المجتمعات الشرقية ومنها العربية ، وقد أفلح الغرب في تنفيذ أهدافه عن طريق تفجير بعض المجتمعات من الداخل جنسياً وخلقياً .

٣. يحاول الغرب عن طريق الغزو الفكري الثقافي جعل الشرق ومنه العالم الإسلامي والشعب العربي تابعاً له ومنقاداً إلى توجيهاته ، وذلك بجعل بعض أبنائه يعتقدون أن الغرب أفضل منهم ، وينعكس هذا في تفكير وكتابات بعض الغربيين الذين ينحون منحى الشعوبية في محاربة القيم الخلقية للأمة ولغتها العربية وعقيدتها الإسلامية مقابل إشاعة قيم وتقاليد الأمم الأخرى ومنها الغربية .

٤. إن آثار هذا الغزو الفكري الثقافي أصبح من أشد القضايا خطراً على عقول الكثير من الناس ولاسيما الشباب فأنه يؤثر في أخلاقهم وفتنتهم عن قيمهم وعقائدهم ودينهم .

المبحث الثالث

آثار العولمة الثقافية في الوطن العربي وسبل مواجهتها

اولاً : الآثار السلبية للعولمة الثقافية

تعكس العولمة الثقافية أبعاداً سلبية وتأثيرات غير محدودة لما تفرضه من حقائق متباينة واتجاهات مختلفة ومن خلال تحليل مفهوم العولمة الثقافية يمكن استخلاص تأثيراتها في الآتي :-

١. لّما كان الهدف الأساسي من العولمة الثقافية هو بلورة ثقافة عالمية تتسم بسمات خاصة تستفيد منها الفئات المسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية باحتكارها التقنية والإنتاج الإعلامي عالمياً فقد أدى ذلك إلى تشكيل نمط معين من الوعي الثقافي وفرض الأنموذج العالمي من خلال الإنتاج والتوزيع واستهلاك المواد الإعلانية والاتصالية ، كان من نتائجه تغير اتجاهات الأفراد سواء داخل المجتمع الغربي ذاته أو خارجه فالتأثير الكبير كان على الفئات الشعبية في المجتمعات التقليدية التي تتغلغل فيها الثقافات الغربية الموجهة .

٢. تراجع دور العملية الثقافية في المجتمعات التقليدية النامية ومنها العربية ، والتي كان لها تأثر واضح في تطور وإدارة هذه المجتمعات ، بسبب الاختراق والغزو الثقافي للعمليات الاقتصادية والإعلامية والثقافية ، وهذا يفضي إلى عدد من الأمور يمكن أن نذكر منها[١٩] :-

أ. أن تفقد الدول ثقافتها تحت ضغط الاختراق وتبدأ بالتخلي التدريجي عن خصوصياتها الثقافية ، فضلاً عن الثقافات المتعددة لصالح الثقافة العالمية الواحدة.

ب. تهديد منظومة القيم الأصيلة ، وتشكيل نوع من الازدواجية الثقافية التي تجمع فيها تناقضات الأصالة المعاصرة .

ج. الانقسام والتفكك الداخلي وظهور التشتت الثقافي والحضاري وظهور الثقافة الوطنية في صورة باهتة عاجزة عن تقديم تصوراتها وشخصيتها المؤثرة ، مقابل ظهور ثقافة العولمة الزاهية الألوان بصورة راقية .

٣. عملت العولمة الثقافية على إجراء حملة واسعة نحو تغيير المناهج التربوية والتعليمية الموجودة في الوطن العربي بحجة عدم كفاية اللغة العربية في التعبير عن المصطلحات العلمية ، والسعي إلى إدخال مفردات غربية عديدة في اللغة العربية لغرض تشويهها واثبات عجزها.

٤. ظهور روابط وجسور وأدوات تحليلية مهمتها الرئيسة إيجاد معايير وقيم للعبور عليها إلى الثقافة العالمية وصولاً بالفكر الثقافي العالمي إلى أرجاء العالم وإحداث نوع من التوحد الثقافي ، والبدء في بلورة ثقافة عالمية ، كل ذلك على حساب الثقافات الوطنية سواء كان ذلك في الدول المتقدمة أم في دول الجنوب[٢٠] .

٥. وقد كان من بين الآثار السلبية للعولمة الثقافية إضعاف دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية عن طريق إشغال العرب بالفضائيات الوافدة ، وبالتالي حدوث عدم الاستقرار في العلاقات الاجتماعية التقليدية

٦. تشكل العولمة الثقافية تحدي أمام بناء المجتمعات العربية لأنها تحطم قدرات الإنسان وتجعله إنساناً مستهلكاً غير منتج يتطلع إلى ما يجود به الغرب من سلع جاهزة الصنع ، بل تجعله متباهي بما لا ينتجه فهو القادر على استهلاك ما لا يصنعه ممّا تتشكل لديهم قيم الاتكالية والتطلع باستمرار إلى اقتناء السلع الاستهلاكية التي تتغير يومياً ، لا من أجل التطور فقط بل في سبيل زيادة حدة الاستهلاك على المستوى العالمي . كما أن النظام الدولي الجديد هدفه الأساس تحقيق الهيمنة الخارجية ، من أجل تطوير قدرة النظام الرأسمالي .

٧. طمس الهوية الثقافية للشعوب ومنها العربية على وجه الخصوص بتوظيف العالم للاختراق الثقافي وتعدد آليات الهيمنة ، فالبرامج التي تبثها الإذاعات المختلفة حتى العربية يلاحظ

بوضوح إظهار تفوق الحضارة الغربية وتغلغل قيم الرأسمالية ذات الصلة بالثقافة .

٨. تذويب الثقافات في إطار الثقافة العالمية التي وصفت بأنها شاملة مما يعني أن الإطار المكون للثقافة لن يكون أكثر من منظومة فكرية أيديولوجية لاستيعاب الثقافات وإذابتها في هذا المكون الثقافي العالمي ، إذاً فالساحة الثقافية العربية تشهد محاولات عبر وسائل الإعلام المتطورة للأنموذج الغربي ، وتقديمه للأوساط الثقافية العربية كأنموذج عالمي للثقافة والعولمة الثقافية بقدر ما تعني هيمنة الثقافة الأمريكية وفرضها على الأمم والقوميات ومنها الأمة العربية[٢١] .

ثانياً : وسائل المواجهة العربية

إن الحقيقة الجوهرية التي لا يمكن إخفائها هي عمق المخاطر التي تواجه الثقافة العربية في ظاهرة العولمة الثقافية ، فالعولمة الثقافية تمثل تحدي للثقافة العربية ولا يقتضي التعامل معها بنفس المستوى من التعامل مع الظواهر الأخرى التي تواجه الأمة العربية وثقافتها القومية فحسب إنما يقتضي التحسب الدقيق مع آثارها ببعديها الحالي والمستقبلي ، ودوافع هذا التحسب يعود بالأساس إلى طبيعة القوى التي تقف وراء معاداتها الصريحة والعلنية للأمة العربية ، كما أن الأهداف المعلنة والخفية لهذه العولمة التي يوظف لخدمتها جهاز إعلامي ضخم ومتطور وتقنيات ثقافية وإعلامية متنوعة ومتقدمة لها من القدرة على مخاطبة العقل العربي والتأثير فيه وبوسائط متعددة تجعل معها إمكانية الحصانة الذاتية غير قادرة على مقاومتها ومواجهة مغرياتها والانبهار بها .

وتأتي ضرورة المواجهة العربية للعولمة الثقافية في جوهرها من الحاجة لحماية القومية العربية والمحافظة على خصوصيتها الذاتية للثقافة العربية تعبير روحي عن شخصية القومية العربية في عصر يشهد هجوماً كاسحاً على خصوصياتها الوطنية القومية عبر هذه الظاهرة لفرض ثقافة واحدة على العالم بديلاً عن الخصوصية الثقافية الوطنية القومية ، إذ تتأكد الرغبة لتعزيز هذه الخصوصيات وتنمية الحوار الثقافي بدل الهجوم .

إن الصراع الحقيقي للعولمة الثقافية مع الثقافة العربية وهويتها القومية دافعه النيل من شخصية القومية العربية والوجود الحضاري للأمة العربية ، وعلى هذا الأساس فالدفاع عن شخصية القومية العربية يستوجب وضع الهوية القومية والخصوصية

العربية للثقافة العربية في المرتبة الأولى ممّا يتطلب إعطاء الثقافة العربية بعدها الشمولي لتتحول من خط دفاعي قوي من جانبين هما[٢٢] :-

١- الدفاع عن وجود الأمة العربية وحمايتها من موقع الثقافة من خلال مقومات الهوية التي تجسد شخصيتها وأصالتها ووجودها الحضاري من الغزو الهادف لتهميشها وإحداث الخلل في كيانها العام الذي يؤكد تماسكها ، بمعنى مقاومة ومواجهة من يريد استلابها وفرض التبعية عليها مهما كانت المواقع التي يتسلل منها والوسائل التي يعتمدها .

٢- الدفاع عن حيوية الأمة العربية من موقع الوعي بالذات والتحذير من اتخاذ موقف الانغلاق الكلي كرد فعل من العولمة الثقافية لتحقيق تفاعل إيجابي بما يتوافق مع معطيات الحياة والعلم ومع ما يقدمه تفاعل الثقافات ، فالثقافات تنشط وتزدهر بقبول الآخر ، وبالشكل الذي لا يمسخها أو يهمشها .

إن حماية الثقافة العربية من تحدي العولمة الثقافية ودعاتها وقواها هي مهمة أساسية ، وجانب مهم في تطور الحضارة الإنسانية ودعم التواصل والتفاعل الحضاري والثقافي بين الشعوب والأمم ، فأنها تطرح المواجهة مع العولمة الثقافية من خلال المهمة الأساسية ، والمتمثلة في :-

أ. ضرورة فهم وإدراك التناقضات في مفهوم العولمة الثقافية ، لكشف الزيف الذي تستر قواها خلفه[٢٣] .

ب. التأكيد على تنمية الهوية القومية للثقافة العربية ، لأن ما ترمي إليه قوى العولمة هو لإحكام السيطرة على المشروع الثقافي العالمي بحيث لا يبقى للمقومات مجالاً لتثبيت بعض الشيء من خصوصيتها حول هويتها التاريخية ، ممّا يعني سيطرة الأنموذج الثقافي العالمي (الثقافة الأمريكية)، وإحلاله محل الثقافة القومية ، ممّا سيؤدي ذلك إلى طمس الهوية القومية وفرض هوية جديدة غربية مشوهة الملامح والسمات[٢٤] .

ج. تطوير وتعزيز الخصوصية الذاتية للثقافة العربية وإبراز تميزها عن الثقافات القومية الأخرى ، وتحقيق هذا الهدف لن يكون ممكناً إلا من خلال تجاوز الهوية العميقة بين الواقع العربي الحالي ودون الاستسلام للشعارات الزائفة التي تنال من أصالته وتميزه الحضاري ، فالتحدي المفروض من العولمة الثقافية على الثقافة العربية لا يمكن تجاوزه بالانغلاق ولا يمكن التغلب عليه بالقبول به والتغرب والتعولم ، بل بمواصلة

الثقافة وإنتاج الحياة من داخلها من خلال الإبداعات الثقافية المتميزة بخصوصية الانتماء القومي[٢٥] . وأيضاً إيجاد قنوات متجددة للإبداع الثقافي العربي .

د. تفعيل الحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى فمنطق الحوار المتفاعل هو المنطق الوحيد الذي يتيح ويؤكد استمرارية الوجود مع الحفاظ على التمايز ومنطق التفاعل ، والحوار هو الوسيلة الأساسية التي تساعد على تكثيف الجهود الثقافية المختلفة لمواجهة تحديات الصراع الحضاري الثقافي القائم على العولمة الثقافية[٢٦] .

ه. استخدام العطاء الفكري والقيمي المتميز للثقافة العربية لخدمة قضية التقدم والتطور الحضاري والثقافي الإنساني وإبراز مكانة الثقافة العربية بين الثقافات الأخرى .

و. تنمية البعد العلمي والعمل التجريبي وتطويره بالتعاون المشترك بين المؤسسات العلمية والثقافية والإعلامية في الدول العربية ، وفي المجالات الفكرية والبحثية وفي سائر فروع المعرفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وسيؤدي ذلك إلى إحداث نقلة إبداعية ونوعية في الأفكار والتصورات لما تمثله أسس الثقافة العربية من أهمية في تحديد الطبيعة البشرية بعيداً عن الطرح الغربي المهيمن والعمل في مضمار التقدم العلمي واستثمار القدرات العلمية لخدمة أهداف الأمة والاعتزاز بالذات .

ز. على الدول العربية إتباع وسائل إجرائية في مواجهة تحدي العولمة الثقافية من خلال إنتاج البرامج المشتركة الثقافية وتصنيع الأجهزة والمعدات التي تساعد في تطور الإنتاج الثقافي وتقليل الاعتماد على المنتج الثقافي الخارجي[٢٧] .

ح. العمل على زيادة التدفق الإعلامي بين البلدان العربية ، وتسهيل الإنتاج الثقافي والإعلامي العربي ليدخل مختلف الدول العربية بحرية ، وتمتين أواصر اللحمة بين أبناء الشعب العربي من خلال معرفة بعضهم البعض الآخر .

ط. على الدول العربية أن تعمد وخاصة بعد أن بدأت سلطاتها في الرقابة والاختبار الثقافي عن الفرد في الانحسار إلى محاولة إقناع شعوبها بما تريد أن تتخذه من سياسات ثقافية بديلاً عن أسلوب الإرشاد والتوجيه الذي ظل سائداً فترة ما قبل ثورة المعلومات ، ومن مقتضيات الإقناع ، عرض الرأي ومناقشة الرأي الأخر، وهو ما يعطي الآراء الأخرى فرصة للتعبير عن ذاتها[٢٨] .

ي. يجب على المثقفين العرب الرد على حملات التشويه والتشكيك الرامية إلى زعزعة الثقة لدى المواطن العربي ، تلك التي تقوم بها الإمبريالية والصهيونية، وتكون المواجهة من خلال المؤتمرات والندوات الفكرية التي يقوم بها المفكرين العرب لدحض الأفكار السلبية المؤثرة في شخصية المواطن العربي[٢٩] .

الخاتمة

لقد خلص البحث إلى ان العولمة ظاهرة نمت عن الهيمنة الأمريكية على الأصعدة المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية عن طريق تعميم الأنموذج الأمريكي على الأمم والشعوب الأخرى، وفرضه عليها تحقيقاً لأهداف الإستراتيجية الأمريكية المتمثلة بالسيطرة على العالم .

ومن خلال متابعة تحليلية لظاهرة العولمة الثقافية وتأثيرها في خصوصية الثقافة العربية سلبياً، يمكن ان نتوصل إلى أهم النتائج الآتية .

١- إن التحديات التي يتعرض لها الوطن العربي نتيجة العولمة أخذت أشكالاً عدة، سياسية واقتصادية وثقافية ، كان من أشدها خطراً على أمنه وحضارته ، هو التحدي الثقافي الذي يؤثر في القيم والتقاليد الحضارية الموروثة للثقافة الوطنية للدول العربية ، ويعمل على مسخ وطمس الثقافة الوطنية أو تهميشها وإحلال ثقافات أخرى بديلاً عنها .

٢- إن العولمة باستهدافها للثقافة العربية قد وضعت مجموعة من المشاريع الثقافية التي استهدفت الثوابت والأصول لتلك الثقافة عبر محاربة إيديولوجيا القومية العربية .

٣- واجهت ثقافتنا العربية الأصيلة تحدياً كبيراً في ظل العولمة الثقافية عبر وسائل الاختراق والغزو الثقافي الذين هما من اخطر الأساليب لتنفيذ أهداف العولمة الثقافية وعملتا على تهميش الدور الفعلي للثقافة العربية بإدخال القيم والأفكار الغربية (الأمريكية) على وجه الخصوص ، ومن اجل السيطرة على عقول أبناء العروبة .

٤- في ظل الثورة المعلوماتية وتطور وسائل الاتصال العابرة للحدود أصبحت التحديات التي أفرزتها ظاهرة العولمة أكثر فاعلية ، بل بدأت تأخذ أشكالاً أقل وضوحاً وأعمق تأثيراً بهدف إحداث خلل في عناصر قوة الدولة وديمومتها ، وبالتالي الوصول إلى انحلالها وعدم قدرتها على السيطرة في شؤونها الداخلية .

المصادر

(١) عبد الخالق عبد الله ، " العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها"، مجلة عالم الفكر ، العدد ٢ ، الكويت ، ١٩٩٩ ، ص٥٠.

(٢) محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧، ص١٣٦.

(٣) لطيف كريم محمد العبيدي ، "العولمة في الفكر السياسي المعاصر" ، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي، العددان ٦-٧ ، بغداد ،الجامعة المستنصرية ، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي ، ١٩٩٩ ، ص٥٢.

(٤) المصدر نفسه ، ص٥٣.

(٥) للمزيد من التفصيل حول المركز الأمريكي ينظر : مطاع صفدي ، عصر انفجار المركزة ، الإبعاد القومية والدولية للعدوان على العراق ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية ، ١٩٩٣ ، ص٢٦٠-٢٨٨.

(٦) نقلاً عن : باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، رسالة ماجستير ، بغداد، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية ، ١٩٩٩ ، ص١٨.

(٧) المصدر نفسه ، ص٢٠-٢١.

(٨) المصدر نفسه ، ص٢١.

(٩) ينظر تعقيبي بهجت شرف الدين ومحمود عوض على بحث عبد الاله بلقزيز ، " العولمة والهوية الثقافية ، عولمة الثقافة ام ثقافة العولمة " ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ٢٩٩ ، بيروت ، اذار ١٩٩٨ ، ص٩٨.

(١٠) نقلاً عن : محمد منذر جلال الكنعاني ، العولمة والخصوصية الثقافية العربية ، رسالة ماجستير ، بغداد ، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية ، ٢٠٠٤ ، ص٣١.

(١١) محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١.

(١٢) المصدر نفسه ، ص١١٣.

(١٣) انتصار عبد الواحد عبد الصاحب ، أيديولوجيا العولمة- المفاهيم والأبعاد، رسالة ماجستير ، بغداد، الجامعة المستنصرية ، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية ، ٢٠٠٤ ، ص٥٧.

(١٤) رعد سامي عبد الرزاق، العولمة وأثرها في وظائف دول عالم الجنوب، رسالة ماجستير ، بغداد ، جامعة النهرين ، كلية العلوم السياسية ، ٢٠٠١ ، ص١١٢-١١٣.

(١٥) حسين علوان حسين " العولمة الثقافية والثقافة العربية " ، مجلة دراسات وبحوث الوطن العربي ، العددان ٦-٧ ، بغداد ، الجامعة المستنصرية، مركز دراسات وبحوث الوطن العربي ، ١٩٩٩ ، ص١٠٠.

(١٦) باسم علي خريسان ، العولمة والتحدي الثقافي ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٨.

(١٧) عبد الجبار محمود السامرائي ، العولمة وثورة الاتصالات ... المخاطر وسبل المواجهة ، العراق ، جامعة تكريت ، سامراء ، كلية التربية ، المؤتمر العلمي الأول ٢٠٠٢/١١/٣ ، ص٤-١٦.

(١٨) ينظر :

- محسن عبد الحميد ، " منهج التغير الاجتماعي" ، مجلة المجتمع العراقي، العدد ٢ ، بغداد ، ١٩٩٦،ص١٣٣.
- عدنان علي الفراجي ، الغزو الفكري الإعلامي الغربي وسبل مواجهته ، بغداد ، بحث مقدم إلى الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٦ ، ص٥.

(١٩) احمد مجدي حجازي ، " العولمة وتهميش الثقافة الوطنية" ، رؤية نقدية من العالم الثالث" ،مجلة عالم الفكر ، العدد ٢٨ ، الكويت ، ١٩٩٩ ، ص١٣٢.

(٢٠) محسن أحمد الخضيري ، العولمة . مقدمة في فكر واقتصاد وإدارة عصر اللادولة ، القاهرة ، مجموعة النيل العربية للطباعة ، ط١ ٢٠٠٠، ص٢٦.

(٢١) احمد مجدي حجازي ، " العولمة وتهميش الثقافة الوطنية" ، مصدر سبق ذكره ، ص١٣٥-١٣٦.

(٢٢) خلف محمد الجراد ،"العلاقات الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر" ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٧٦ ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٣ ، ص٧٦.

(٢٣) علي حسين الجابري ، "العرب بين سياسة الاحتواء والحرب الدائمة" ، مجلة آفاق عربية ، العدد ٩ — ١٠ ، بغداد ، دار أفاق عربية ، تشرين الأول ١٩٩٦، ص١٦.

(٢٤) مطاع صفدي ، "ميثافيزيقية الشبه والهوية " ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد ، ١٧ ، بيروت، ١٩٨١ ، ص١١.

(٢٥) ثناء فؤاد عبدالله ، " إشكالية التفاعل والحوار الحضاري بين العرب والحضارة الغربية في إطار تغيرات العالم الجديد" مجلة المستقبل العربي، العدد ١٦٧ ، بيروت ، كانون الثاني ١٩٩٢ ، ص٤٥.

(٢٦) خلف محمد الجراد ،"العلاقات الإشكالية بين الثقافة والغزو الثقافي في الخطاب العربي المعاصر" ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٣.

(٢٧) عبد الباقي الهرماسي ، " العولمة والهوية الوطنية" ، مجلة العربي ، العدد ٤٨٢ ، الكويت ، كانون الثاني١٩٩٩ ، ص٣٧.

(٢٨) سعد لبيب المكاوي ، مدخل لدراسة الاختراق الإعلامي في المنطقة العربية ، إعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي ، ١٩٩٧ ، ص٤٨.

(٢٩) علي عقلة عرسان ، ثقافتنا والتحدي – خطابنا وخطاب العصر ، دمشق ، إتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠١ ، ص١٠٧.